

مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المجلد الثامن والعشرون | **رجب 1445هـ / يناير 2024م** | **العدد الخامس والخمسون**

ISSN 1823-1922 & eISSN: 2600-9609 الترقيم الدولي

Correspondence مراسلات المجلة
Managing Editor, *At-Tajdid*
Research Management Centre, RMC
International Islamic University Malaysia
P.O Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6421-5074/5541
E-mail: tajdidiium@iium.edu.my
Website: https://journals.iium.edu.my/at-tajdid/index.php/Tajdid

Published by:
IIUM Press, International Islamic University Malaysia
P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Phone (+603) 6421-5014, Fax: (+603) 6421-6298
Website: http://iiumpress.iium.edu.my/bookshop



مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المجلد الثامن والعشرون **رجب 1445هـ / يناير 2023م** **العدد الخامس والخمسون**

المحتويات

ترتيب البحوث في المحتويات حسب وصولها واستكمالها



المجلد 28، العدد 55
رجب 1445هـ / يناير 2024م، ص 169-190

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
ISSN: 1823-1926 (Print)
eISSN: 2600-9609 (Online)

الإمام جابر بن زيد ومشروع وحدة الأمة وإصلاحها

Al-Imām Jābir Bin Zaid and the Project of Unity and Reform of The Ummah

أحمد بن يحيى الكندي[*]، **سيف بن سالم الهادي**[**]

[قُدّم للنشر 2023/12/8م – أُرسل للتحكيم 2023/12/25م – قُدّم بعد التعديل 2024/01/20م - قُبل للنشر 2024/01/21م]

ملخص البحث

منذ بداية تعدد وجهات النظر في التعامل مع المسار السياسي، بدأت الجهود الكثيفة من العلماء لاحتواء الخلاف، ومحاصرة تمظهراته في أضيق الحدود، خشية أن ينتقل الخلاف السياسي إلى التحزب والطائفيات، بيد أن الجهود التي تعنى بهذا الجانب تحتاج إلى ترسخ مبدأين ضروريين؛ التعارف والاعتراف، وقد كان الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني من هؤلاء العلماء الذين بذلوا جهودا كبيرة في جمع كلمة الأمة وتقريب وجهات نظرها، حتى حظي بثناء عطر من الصحابة رضي الله عنهم ومن أقرانه التابعين، ويعرض هذا البحث مقولة: "واحد في أمة وأمة في واحد"، ويبحث سعة انتشارها في مختلف أعمال جابر، فهو شخصية جديرة بهذا اللقب، ففي شيوخه تنوع يضم المؤسسين الأوائل لمدرستي أهل الرأي وأهل الحديث، من مثل عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، وفي تلاميذه تنوع مماثل، لا على مستوى الاتجاه الفقهي فقط، وإنما أيضًا على مستوى الاتجاه السياسي، فللإمام جابر دعوتان؛

---

* أستاذ مشارك، ورئيس قسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، البريد الإلكتروني: abuyahya@squ.edu.om.

** أستاذ مساعد بقسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، البريد الإلكتروني: s.alhadi@squ.edu.om.

الأولى عامة يتعايش فيها مع مختلف مكونات الأمة الإسلامية الفكرية والسياسية، والثانية خاصة تبحث موضوع الخلافة وآفاقها المستقبلية، وفي الاتجاهين الذين يشارك فيهما العلماء، يحظون بتكريم كبير ومكانة رفيعة عند الإمام جابر، ومن ثم يؤكد البحث سعي الإمام جابر إلى ترسيخ روح الوحدة بين أبناء الأمة، وتقبل ظاهرة الاختلاف في المسارين السياسي والفقهي، من دون أن ينتقل ذلك بالأمة إلى التنابز بالألقاب أو التكفير والقتل على الهوية، فمعالم انطباق المقولة السابقة على هذه الشخصية العمانية قابلة لمزيد من البحث في ضوء قيم الوحدة والتعايش.

الكلمات المفتاحية: جابر، الأممية، الوحدة، المشروع السياسي.

Abstract

Since the disagreement within the Islamic nation began, and anti-Umayyad government factions emerged on the political horizon, intense efforts by scholars were initiated to contain the discord and confine its manifestations within narrower boundaries. However, this required two essential elements: acquaintance and recognition. Imam Jābir bin Zaid Al-Azdī, al-Umānī, was one of those scholars who exerted significant efforts to unify the words of the nation and reconcile its perspectives. He earned praise from the companions (may Allah be pleased with them) and his contemporaries. In this paper, the researchers present the statement 'A man within a nation and a nation within a man' and explore its implications in various works of Jābir. He is a figure worthy of this title, with a diverse group of mentors, including the early founders of the scholars of opinion and tradition. His disciples also exhibit a similar diversity, not only in terms of jurisprudential orientation but also in political inclinations. Imam Jābir had two general calls: one involving coexistence with various intellectual and political components of the Islamic nation, and the other specifically addressing the issue of caliphate and its future prospects. In both directions where scholars participated, they received great honor and high status from Imam Jābir. This paper ends with a conclusion that confirms Imam Jābir’s endeavor to consolidate the spirit of unity among the people of the nation, and accept the phenomenon of difference in the political and jurisprudential paths without this moving the nation to name-calling or excommunication and killing based on identity. The paper emphasized the features of the application of the previous saying to this Omani personality and presents it as an article. It is subject to further research in light of the values of unity and coexistence.

Keywords: Jābir, internationalism, unity, political project.

مقدمة

الإمام جابر شخصية فارقة في تاريخ الأمة الإسلامية، فلديه من المكنة العلمية ما جعله في مصاف الشخصيات التي نالت شهادة الصحابة رضي الله عنهم، وحصلت على رخصة الإفتاء على الرغم من صعوبتها كما نبين بالإحالات المطلوبة،[1] ولديه من بعد النظر ما جعله قادرًا على قراءة الأحداث السياسية قراءة واعية مكّنته لاحقًا من تأسيس رؤية سياسية خاصة انتقل بها إلى مرحلة التنفيذ العملي، وذلك من خلال مدرسته السرية كما يأتي في ثنايا البحث.

ومع كل هذه الاتجاهات العلمية والسياسية، كان الإمام جابر حريصًا كل الحرص على لَمِّ شمل الأمة وإصلاح أوضاعها الفكرية والسياسية، وكان لديه من الوعي السياسي ما جعله حريصًا على التعامل بحذر مع كل مفرداتها، فعلى الرغم من أن هدفه استعادة قيم الخلافة الراشدة، لم يكن ذلك مسوغًا في فقه السياسي أن يتحول إلى السلاح أو يستحل الدماء، وإنما كان قريبًا من الجميع، يبذل ما في وسعه من الجهد في الإصلاح، حتى عرفه الساسة والعلماء، فاتخذوه قدوة تصان بها الناس وطلبة الشريع، كل هذا يجعلنا نفترض أن الإمام جابر يستحق لقب "واحد في أمة وأمة في واحد".

وفي هذا البحث يقدم الباحثان عددًا من تلك المقولات التي صدرت من الصحابة والتابعين معًا، ويمران على نماذج تطبيقية من الحياة العلمية والعملية، إضافة إلى البحث في التميز والاستقلال، فهذا البحث يهدف إلى التعريف بعلم من أعلام الأمة الإسلامية، ومناقشة مشاريعه الفكرية والسياسية، وكذلك الإسهام في تقديم المزيد من الدور العماني في وحدة الأمة وتماسكها، والدعوة إلى التعايش المذهبي، والبحث محاولة للتأكد من انطباق المقولة السابقة على الإمام جابر، وذلك من خلال مواقفه والثناء عليه من

---

[1] قال ابن عباس رضي الله عنهما: "فلو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لوسعهم علمه"، البخاري، **التاريخ الكبير**، تحقيق: السيد هاشم الندوي، (بيروت: دار الفكر، ط1، 2012)، ج2، ص204.

الصحابة والتابعين، رضي الله عنهم أجمعين، علاوة عن أن البحث يتناول أهم ما يشغل رجل الوحدة، وأعظم ما يفكر فيه.

وتكمن إشكالية هذا البحث في أنه ليس من السهل طرح دعوى في موضوع معين، ثم لا يجد الباحث ما يساعده في الخروج من الذاتية إلى الموضوعية، ولا سيما أن مشكلة إسقاط الذات على الموضوع عسيرة الانفكاك عن البحوث التي تعنى بالشخصيات ذات الانتماءات الفكرية، فمحاولة الإثبات في هذا البحث تتطلب قدرًا جيدًا من التنقيب في المراجع لمختلف المدارس الإسلامية، وهو ما استغرق منا وقتًا؛ لأن موضوع الوحدة من المواضيع التي تحتاج إلى نماذج عملية تخرج بها من الاستهلاك الخطابي.

ومن أسباب أهمية هذا البحث أن الأمة الإسلامة تعاني الفرقة على المستويات السياسية والفكرية، على الرغم من أنها تمتلك المقومات الكاملة للوحدة، لكثرة مشتركاتها من جهة، وتأصيلها فقه الخلاف من جهة أخرى، والبحث لا يمثل هذا التنوع الفكري في الأصل، أي مشكلة في مسار الوحدة، ولكن التوظيف السياسي وتغافل بعض المشتغلين بالفكر الإسلامي عن أن الخلاف ينبغي أن يكون اختلاف تنوع لا تضاد؛ جعل المشتغلين بهموم الأمة الإسلامية يبحثون في التأسيس الأول للفكر الإسلامي، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم سدنة هذا التأسيس وقادته، وكانوا صورة رائعة لمعنى لفقه الخلاف، وقلبًا نابضًا بهموم الأمة ومستقبلها، وكان الإمام جابر من هؤلاء التلاميذ النابهين للصحابة، تلقى منهم التوجيه المباشر، واستلم منهم مفاتح الخير، فسعى إلى تقديم نموذج عملي رائع في بناء الوحدة والدعوة إليها، ولذلك احتجنا إلى هذا البحث الذي توسَّل المنهج الاستنباطي من خلال القراءة الواعية لتوجهات الإمام جابر ومقولاته التي تؤصل لمعنى الوحدة والتعايش، والمنهج الاستقرائي من خلال تتبع المقولات التي قيلت في الثناء على الإمام جابر بما يؤكد استحقاقه اللقب، والمنهج التحليلي من خلال تحليل بعض المفاهيم المعروضة في هذا الشأن، ولا سيما ما يتعلق بالأمة والوحدة والتعايش التي يسعى الإمام جابر إلى تنزيلها على واقع الأمة.

وقد ناقشت مجموعة من المؤلفات سيرة الإمام جابر بن زيد ودوره العلمي والدعوي،[1] وهناك كتب خاصة عنيت بجمع فتاويه،[2] ولكن موضوع اتصاف الإمام جابر بأنه "واحد في أمه وأمة في واحد"، لم يُتطرق إليه سابقًا بهذا التفصيل، وفي هذا البحث نتحرى مدى انطباق هذه المقولة على الإمام جابر من خلال تنوع الشيوخ والتلاميذ، والعبارات التي قيلت عنه، والعبارات التي قالها بنفسه في سياق حديثه عن وحدة الأمة وجمع كلمتها.

أولًا: الإمام جابر ومشروع وحدة الأمة وإصلاحها

إن جابر بن زيد الإمام الرباني الذي أكب شربًا لماء القرآن وروحه وراحه، ليدرك تمام الإدراك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ (الأنبياء: 92)، وكانت حياته وحركته ودعوته تكريسًا لمشروع الأمة الواحدة وإصلاحها، والحق أن الإمام جابر مستحق بامتياز لقب "واحد في أمة وأمة في واحد"، ولكي ندرك نهضة الإمام جابر ومشروعه في إصلاح الأمة ووحدتها، نقف عند بعض المحطات بالنظر والتحليل.

1. التعريف بالإمام جابر وتكوينه العلمي وأثره في غرس فكر وحدة الأمة لجابر:

الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني البصري، وُلد في قرية الجوف في ولاية نزوى بعمان، عام (22هـ)، ورحل إلى البصرة مع والده، والتقى هناك بالصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، وبجمع كبير من التابعين، ثم رحل إلى المدينة المنورة والتقى بعدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم، وكان يسأل عائشة رضي الله عنها عن أدق الأحكام، وأكثر

---

1 محمد بن حامد حواري، **جابر بن زيد إمام المذهب الإباضي**، (د.م: دار الضياء، 2008)؛ عبد الله محمود شحاتة، **جابر بن زيد ومواقفه الفقهية**، (القاهرة: دار غريب، 2012).

2 يحيى محمد بكوش، **فقه الإمام جابر بن زيد**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986).

من أخذ عنهم ابن عباس رض الله عنهما، ثم رجع إلى عمان منفيًا في زمن الحجاج، وعاد إلى البصرة، وتوفي فيها على الأرجح عام (92هـ).[1]

وقد تربى الإمام جابر على مفهوم الأمة الواحدة والدعوة والإصلاح فيها، ويرتبط الجانب العلمي لديه بمشروع وحدة الأمة وإصلاحها، ولفهم ذلك يمكننا متابعة الأسباب الآتية:

أ. جابر التلميذ والأستاذ

تلقى جابر العلم عن كل الصحابة الذين لقيهم، وأخذ عنهم العلم واستوعبه، يقول: "أدركت سبعين بدريًا، فحويت ما عندهم، إلا البحر"، يعني ابن عباس،[2] فإذا كان لقي من البدريين على قلة من بقي منهم سبعين، فكيف بغيرهم؟ فقد ضمت قائمة الصحابة كمًّا متنوعًا من كبار الصحابة وصغارهم علمائهم وقادتهم، وفي مقدمهتم أولئك الذين سجلوا حضورًا علميًّا مؤثرًا في تاريخ التشريع الإسلامي، من مثل عبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وأم المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، والحكم بن عمرو الغفاري، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم ممن يصعب عدُّهم في هذا المقام، ومعلوم أن هؤلاء الصحابة انتشروا بعد ذلك في الأرض، وتأسست لهم مدارس فقهية مختلفة يميل بعضها إلى الرأي، ويتهيبه بعضها الآخر لأسباب ذاتية وموضوعية، وبذلك يقدم الإمام جابر أنموذج التتلمذ على عدد متنوع من الصحابة والتابعين ليجمع قدرًا جيدًا من فقه الجميع وعلمهم،[3] فيعطي في تشكيل شخصيته فضاء

---

1 يُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط9، 1413)، ص481- 482؛ الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق: إبراهيم طلاي، (قسنطينة: مطبعة البعث، ط1، 1394هـ/1974م)، ج2، ص48.

2 ينظر: محمد بن موسى بابا، إبراهيم بحاز، مصطفى باجو، مصطفى بن محمد شريفي، **معجم الأعلام الإباضية: القسم المغربي**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1421هـ/1999م)، ص94.

3 يُنظر: بكوش، **فقه الإمام جابر**.

معرفيًا واسعًا ومظلة فكرية جامعة، وإن صحبته عددًا من التابعين أضافت إليه دائرة معرفية أخرى، وقد جمع في فتاواه لاحقًا هذه المعارف التي جمعت بين علم الصحابة وأقرانه من كبار التابعين.

وفي مقابل ذلك أخذ عنه جميع طلبة العلم آنذاك ورووا عنه، سواء كانوا إباضية أم غيرهم؛ أي سواء كانوا من حملة المنهج الفقهي الذي عُرف به لاحقًا من خلال نعت أصحابه بأنهم على رأي جابر؛ أم من تلاميذه الذين لا يخضعون لمشكلة التصنيف،[1] ولكن الأهم أنهم أصبحوا لاحقًا – من الفريقين – أئمة العلم وأساتذته.

ففي القائمة التي أوردها المزي يتضح التنوع والاختلاف الفقهي بين التلاميذ، فهم "أمية بن زيد الأزدي وأيوب السختياني وحيان الأعرج وداود بْن أَبِي القصاف، وسُلَيْمان بْن السائب، وصالح الدهان، وأَبُو حفص عُبَيد اللَّه بْن رستم وأَبُو المنيب عُبَيد الله بْن عَبْد الله العتكي، وعزره بْن عبد الرحمن الكوفي، وعَمْرو بْن دينار وعَمْرو ابْن هرم الأزدي والغطريف أَبُو هارون العماني، وقتادة بْن دعامة، ومحمد بْن عبد العزيز الجرمي، ومزيد بْن هلال، ويُقال: هلال بْن مزيد، والمهلب بْن أَبِي حبيبة، والوليد بْن يحيى الأزدي، ويَعْلَى ابن حكيم، ويَعْلَى بْن مسلم ، وأَبُو العنبس الأكبر".[2]

ومن تلاميذه الذين اعتمدوا مشروعه الفقهي والسياسي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب، أبو نوح صالح الدهان، وحيان الأعرج وغيرهم، وهؤلاء كانوا أئمة في العلم.

وقد ساعد هذا التنوع والسعة لدى الإمام جابر، في فائدة مشروعه الإصلاحي الاستيعابي، وفي فائدة الذين أخذوا عنه وحملوا دعوته، وفي فائدة المدرسة الإباضية التي

---

[1] نعني بالتصنيف النعوت على أساس المواقف السياسية، كالخوارج مثلاً، إذ يلقب عدد من تلاميذه بأنهم على رأي الخوارج.

[2] أبو الحجاج المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، د.ت) ص4، ص435.

كوّنها، والحركة الإصلاحية التي سعى إليها في الأمة، وثمة فائدة أخرى مهمة لهذا التمازج هي خلط طلبته بعضهم ببعض بما ينفعهم ويربيهم ويكون السعة لديهم، فيقبل بعضهم بعضًا، وهو بذلك يؤسس لقاعدة تقبّل كل واحد منهم الآخر بما يعزز وحدة الأمة، ويزيل الريبة عنهم تجاه النظام السياسي القائم.

ب. شهادات الشيوخ والأقران بأن الإمام جابر يمثل أمة ووحدة أمة:

سبق أن أشرنا إلى أن الإمام جابر شخصية تستحق لقب "واحد في أمة وأمة في واحد"، ونبرهن على ذلك من خلال شهادات شيوخ جابر من أئمة الصحابة وأقرانه التابعين، بما يؤكد هذا الجانب في شخصيته وسعيه إلى إصلاح الأمة وقيادتها نحو الوحدة، وأنه كان يسعى إلى لَمِّ شملها، وإصلاح أوضاعها بعد أن بدأت ملامح فرقة بين المسلمين تخرج عن إطارها الموضوعي.

وقد أوردنا أكثر العبارات التي شهد بها شيوخ وأقران جابر؛ لكننا نعيد النظر في بعض العبارات التي يتجلى فيها الوصف "الأممي" لشخصية جابر، وتحليلها بما يؤكد هذا الجانب في شخصيته رضي الله عنه، وتأتي عبارة الحسن البصري حين وقف على قبر جابر بعد دفنه: "اليوم دُفن رباني هذه الأمة"،[1] من أجلّ العبارات المعبرة عن اتصاف الإمام جابر بأنه مصلح هذه الأمة وطبيبها الإيماني، فوصف الرباني يوجز جميع الجوانب العلمية والإيمانية والخلقية في صفة هذا الإمام العظيم، وإضافة وصف "رباني الأمة" من شخصية كالحسن، يوحي بما امتاز به الإمام جابر من مكانة علمية وإيمانية، يستحق معها هذا الوصف، وهو يخدم جانب "الأممية"[2] عند الإمام.

---

[1] سلمة بن مسلم الصحاري العوتبي، **الضياء**، (مسقط: مطبعة عمان ومكتبتها المحدوة، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ط1، 1411هـ/1991م)، ج1، ص104-105، ج 3: ص211؛ أبو طاهر الجيطالي، **قناطر الخيرات**، (القاهرة: دار النهضة، ط2، 1418هـ/1998م)، ج1، ص63.

[2] اختصارًا لعبارة: "رجل في أمة وأمة في رجل".

وأما العبارات المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما من نحو: "جابر أعلم الناس"، أو: "... فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه"،[1] فهي شهادة فصيحة على أممية علم جابر الذي يسع الأمة كلها، وأنه نهرٌ متدفق يسقي الأمة كلها، فيزيل ظمأها وبستان عظيم وارف بالعلم واسع يمكن أن يغذي الأمة كلها، فصفة "الأممية" واضحة جلية في شهادة أستاذ جابر فيه؛ كيف لا وهي صادرة من البحر وحبر الأمة وترجمان القرآن، بل ورباني الأمة كما وصفه جابر بنفسه؟ فيا لها من شهادة من شيخ عارف بأممية تلميذه، وأنه ممن كان يُرتجى فيه ويعول عليه للنهوض بهذه الأمة.[2]

ومن صيغ هذه الشهادة رواية بلفظ: "اسألوا جابر بن زيد، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه"، وواضح في هذه الصيغة حضُّ الأمة كلها على الانتفاع بعلم جابر وأنه يسع الجميع،[3] وعلى هذا النحو يصف أنس بن مالك تلميذه جابرًا لما بلغه موته، فيقول: "مات أعلم من على ظهر الأرض"،[4] وفي أن جابرًا أعلم أهل الأرض ما يؤكد الجانب "الأممي"، وأنه ممن يعول عليه ليمهد بعلمه صلاح هذه الأمة وإصلاحها في كل الأرض، فيكون للجميع، وانظر ما رواه أبو بكر بن نعامة إذ قال: "كنت عند أنس بن مالك، وأنس يومئذ مريض، فأتى أنسًا مولى له، فأكب عليه، فقال له: توفي جابر بن زيد، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم إنا لله وإنا إليه راجعون، مات أبو الشعثاء؟ قال له مولاه: نعم، والله اليوم! فقال أنس: مات أعلم الناس، يرحم الله جابر بن زيد، مات أعلم الناس بالله، يرحم الله جابر بن زيد".[5]

---

[1] البخاري، **التاريخ الكبير**، ج2، ص204.

[2] الدرجيني، **الطبقات**، ج2، ص205.

[3] أحمد بن سعيد الشماخي، **السير**، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ط1، 1407هـ/1987)، ج1، ص68.

[4] الدرجيني، **الطبقات**، ج2، ص205؛ الشماخي، **السير**، ج1، ص67.

[5] يُنظر: البخاري، **التاريخ الكبير**، ج2، ص204؛ ابن حبان، **الثقات**، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد (بيروت: دار الفكر، ط1، 1395/1975)، ج4، ص101؛ سعيد بن خلف الخروصي، **من جوابات الإمام بن زيد**، (مسقط:

ويروي نصر بن علي قال: "ثنا محمد بن سوار – محمد بن سواء – قال: ثنا أبو الحباب قال: لما دفن أبو الشعثاء قال قتادة: اليوم دُفن علم الأرض"، فهذه الشهادة من قتادة صديق الإمام جابر دالة أيضًا على علو مقام جابر، وأن أهل الأرض منتفعون بعلمه، وينقل عن قتادة أيضًا ما رواه أبو سفيان محبوب بن الرحيل، قال: "ولما مات جابر بن زيد أتى قتادة وهو إذ ذاك قد عمي، وقال: أدنوني من قبره؛ قال: فأدنوه حتى وضع يده على قبره، ثم قال: اليوم مات عالم العرب"،[1] وأن جابرًا عالم العرب فهو إذن عالم كل الناس آنذاك، وفي تلك العهود، رحمه الله ورضي عنه.

ولا ريب في أن الإمام جابر هو العالم الذي يسعى لإصلاح الأمة والنهوض بها، وكان تلميذ كل علمائها المؤسسين آنذاك، وأستاذ حملة العلم فيها، كان حقًّا يعمل على وحدتها، وجمع كلمتها، ورأب كل صدعها؛ وإصلاح كل خلل فيها، وهذا واضح في دوره وأقواله وأفعاله مما أوردناه عنه في ثنايا هذا البحث، وحمل هذا الدور أتباعه وتلاميذه من بعده؛ إذ رباهم على ذلك، فعلى هذا المسلك سعوا، وعلى هذا المنهج استمروا، لذا لا عجب أن نرى أبا حمزة المختار بن عوف السليمي الشاري، يقول: "الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة، مشركًا عابد وثن، أو كافرًا من أهل كتاب، أو إمامًا جائرًا"،[2] ونرى الإمام السالمي يقول في مثل ذلك:[3]

ونحن لا نطالب العبادا ... فوق شهادتيهم اعتقادا

فمن أتى بالجملتين قلنا ... إخواننا وبالحقوق قمنا

وزارة التراث القومي والثقافة، 1992)، ص53.

[1] أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط4، 1405هـ)، ج3، ص85؛ الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1374هـ)، ج1، ص72.

[2] ابن خياط، **تاريخ ابن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (دمشق: دار القلم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1397هـ)، ص386، أبو الفرج الأصبهاني، **الأغاني**، تحقيق: سمير جابر، (بيروت: دار الفكر، ط2، د.ت)، ج2، ص249.

[3] ابن حميد السالمي، **كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة**، (السيب: مكتبة الضامري، ط2، 1423هـ/2003م)، ص7.

وعلى هذا المسلك جرى الإباضية مشرقًا ومغربًا في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وفي هذا المنحى تأتي رسالة العلامة سليمان الباروني إلى الإمام عبد الله بن حميد السالمي، وفيها طلب رأي هذا الإمام في موضوع الوحدة والجامعة الإسلامية، فأجاب إلى تأييد المسعى، ووضع عددًا من المقترحات لتطبيق ذلك على أرض الواقع،[1] فهذه الروح الجامعة التي تحلّوا بها، وكان نبراسهم فيها الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه.

ثانيًا: الدور الدعوي لجابر وسعيه في مشروع وحدة الأمة وإصلاحها

1. دعوة جابر وحياته مظلة للإباضية وسائر الأمة:

كانت دعوة جابر مظلة لجميع الأمة، فعلى حين عني بأتباعه الإباضية، ووجه كل نشاطات الحركة وقادة الدعوة كأبي بلال،[2] وابن إباض،[3] وسائر أهل الدعوة؛ نجده أيضًا يهتم في دعوته بسائر أبناء الأمة، "فالإمام جابر بن زيد الذي وطد دعائم المذهب الإباضي، كان إمامًا مرتضى من جميع الأمة الإسلامية، ولذلك فهو مرجع للجميع، وجدت آراؤه وأقواله في أغلب المذاهب الإسلامية، وهذا يدل على أن الإمام جابر رضي الله عنه لم يكن قصده الانحياز نحو توجه واحد، بل كان مصلحًا يسع الجميع بفكره

[1] الدرجيني، **الطبقات**، ج2، ص205.

[2] أبو بلال (ت61هـ/670م) من بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، اشتهر بمرداس بن أدية، وأدية أمُّه، تابعي من أئمة المذهب الأوائل، لازم الإمام جابر بن زيد وأخذ عنه، والتقى عددًا من الصحابة، منهم ابن عباس وعائشة، وعبد الله بن وهب الراسبي، شارك في صفّين، فأنكر التحكيم، وكان من أهل النهروان، فنجا منها. يُنظر: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص89.

[3] عبد الله بن إباض بن تيم بن ثعلبة، من بني مرَّة بن عبيد، رهط الأحنف بن قيس، آل مقاعس التميمي (ت86هـ/705م)، فهو من قبيلة تميم التي كان لها دور مهم في الأحداث السياسية في صدر الدولة الأموية، نشأ في البصرة، وعاصر فتنة افتراق المسلمين بعد صفّين، وكانت له مواقف حاسمة من تلك الأحداث، فقد شبَّ في زمان معاوية، وأدرك عبد الملك بن مروان، ويعدُّ في التابعين، أدرك كثيرًا من الصحابة، وإليه يُنسب المذهب الإباضي نسبةً غير قياسية، وتتفق على ذلك المصادر الإباضية التي تُجمع أيضًا على أنَّ إمام المذهب الذي وضع قواعده هو جابر بن زيد الأزدي العماني. يُنظر: **معجم أعلام الإباضية**، ج1، ص381.

وتطلعاته نحو التصحيح الإسلامي الذي ينشده في ذلك الوقت، بعد أن أصيبت الأمة بدخن الخلاف والتشرذم".[1]

وحين أصبح جابر مفتي البصرة قضى حياته وكرسها في خدمة الأمة كلها، وحين كان يدرس في مساجد البصرة ويروي الحديث ويعلم التفسير وسائر العلوم؛ كان يقدمه لأبناء الأمة كلها، وينقل علمه الواسع بالإسلام إلى كل طلبته من دون تمييز، "ولما كان جابر تابعيًا بارزًا، فإن إسهامه للأمة الإسلامية النامية يمكن إدراكه في إطار الدور الذي لعبته طبقة التابعين الذين ورثوا العلم وتطبيق الإسلام عن الصحابة مباشرة، ثم نقلوه إلى طلابهم، وبما أنه كان طالبًا وثيق الصلة بابن عباس الذي أسهم في معظم النشاطات الفكرية السياسية للأمة الإسلامية منذ شبابه؛ فقد تمكن جابر من أن يتعرف إلى المواقف المتناقضة في النشاطات السياسية التي بدأت مع النزاع الأهلي في خلافة عثمان وانتهت بانتصار معاوية".[2]

ومع أنه عاش في البصرة إحدى أهم الحواضر الإسلامية آنذاك ومراكز النشاطات العلمية والسياسية، تنقل بين الحواضر الأخرى طالبًا ومعلمًا، وقد أكثر من الرحلة إلى المدينة ومكة مستغلًا مناسبة الحج للقاء الصحابة وحملة العلم أساتذة أو طلبة ممن كانوا يأتون إلى مكة وقت الحج من كل بلاد الإسلام، وقيل إن جابرًا تنقل بين البصرة ومكة حاجًّا ما لا يقل عن أربعين مرة.[3]

وعلى الرغم من خصوصية الدور الدعوي في قيادته الحركة الإباضية، سعى إلى قيادتها وفق منهج جامع مؤلف بين شرائح الأمة، وكان هذا التأليف من أسباب تجنبه

---

[1] أحمد بن حمد الخليلي، **الوحدة الإسلامية من خلال سيرة العلامة سالم بن ذكوان الهلالي** (نسخة رقميَّة مرقونة)، ص10.

[2] عمرو بن خليفة النامي، **دراسات عن الإباضية**، ترجمة: ميخائيل خوري، ماهر جرار، المراجعة والتصحيح: محمد صالح ناصر، مصطفى صالح باجو، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001م)، ص76.

[3] الدرجيني، **الطبقات**، ج2، ص204؛ الشماخي، **السير**، ج1، ص67؛ النامي، **دراسات عن الإباضية**، ص75.

الصدام العلني مع السلطات والحفاظ على علاقات ودية مع الحكام والولاة الذي تحدثنا عنهم سابقًا، وهكذا أيضًا كان في سعيه إلى قيادة الحركة يسعى إلى امتزاجها بطريقة حذرة بمكونات الأمة المسلمة، ويجعل برنامجها الإصلاحي محققًا هذا الامتزاج ومتمثلًا في ربط مكونات الحركة وأعضائها بسائر مكونات الأمة الإسلامية، مع الاستمرار بأخذ العلم الشرعي وأدائه، وكذلك الفتوى لكل الناس بصرف النظر عن أنهم أعضاء في الحركة أو غيرهم.

2. تنوع طرق الدعوة ومؤثراتها عند الإمام جابر

لم يترك الإمام جابر وسيلة لإصلاح الأمة وجمع كلمتها إلا سلكه، وقد سبق أن أشرنا إلى الجانب العلمي وتوظيفه في أكثر من محطة، ومنها ما يتعلق بإصلاح الأمة عبر العلم، فمع تنوع العلوم التي امتلكها جابر بن زيد كان هذا العلم ميدانًا ومعينًا لرسالة إصلاح الأمة من عقيدة وقرآن وتفسير وحديث وفقه، وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية المشتغل بها آنذاك، وربما أشرنا بتفصيل إلى بعض ملامح الجانب العلمي لديه، ولكن لا مانع من النظر في بعضها إلى إشارات أخرى تخدم المحور الذي نتحدث عنه، فبالنظر في الجانب العلمي ودوره في إصلاح الأمة، تتجلى معالم شخصية الإمام جابر التي كان لها أثرها الواضح في دوره الإصلاحي، كالعناية بالعلم والتميز فيه، وتنوع المعارف وعلو الإسناد؛ وجمع أكبر عدد من الأساتذة محققًا حسن التفاعل معهم، وتحقيقه أكبر الإجازات العلمية على يدهم، وعنايته بتنمية القدرات العقلية والعلمية.

وبتتبع طريقته في الاستدلال، يبدو أن منهج الاستنباط من طرائقه التي أفاد بها الأمة، وقد تقدم بيان ذلك، ويكفينا في هذا المقام التذكير باستنباطه حكم الطواف وكيفيته مع هدم البيت، إذ يروى أنه عندما دخل المسجد الحرام ورأى الناس متحيرين زمان هدم الحجاج الكعبة، طاف بالناس وهو يتلو: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾ (النمل: 91)، فتبعه الناس، إذ

استدل بهذه الآية على أن الطواف بالكعبة ليس مرتبطًا ارتباطًا شرطيًا بوجود المبنى نفسه، وإنما يكفى الطواف حول المقر عند وجود مثل هذه النازلة.

وقد سبق تفصيل الجوانب الإيمانية والأخلاقية التي اتصف بها الإمام جابر، ولا ريب في أن لها أثرًا في سعيه إلى إصلاح الأمة وجمع كلمتها كما أوضحنا من خلال كلماته نفسه، وذلك أنها تضمنت روحًا استيعابية للأمة بجميع مكوناتها، ومن أجل السمات الإيمانية الورع والعفة والعبادة ومحاسبة النفس، وهكذا كانت الخلال الأخلاقية التي تحلى بها وكريم الصفات والسجايا كالسخاء والكرم والإحسان والرفق والتواضع ومقابلة الإساءة بالإحسان، كان لها أثرها الاستيعابي، وكذا استغلال الجانب الاجتماعي و تأثيره في الدعوة والإصلاح، وما امتاز به الإمام جابر من نضج سياسي ومنهج الاعتدال والتعايش وتقبل للآخر واستيعابه؛ كل ذلك أثمر في مشروع الإمام جابر الإصلاحي للأمة.

ولا يفوتنا ههنا التنويه بميزات تميز بها منهج الإمام جابر الدعوي، وكان لها أثرها أيضًا في نجاح مشروعه، ومن ذلك انسجام الخطاب الوعظي والعقدي، وتحقق التنوع العلمي والمعرفي مع السعة الفكرية، وانسجام الخطاب السياسي مع المبادئ العقدية، وترك التبدل والتلون وفق حاجة الدنيا، بل تطويع الدنيا لمصلحة الآخرة من دون غلو في ترك الدنيا، وكذلك تكامل جوانب الشخصية علميًا وروحيًا ونفسيًا وأخلاقيًا، والبعد عن الغلو والشطط، وتحقيق الوسطية والاعتدال الحق.

3. مبادئ ورؤى آمن بها ودعا إليها الإمام جابر يراها جامعة للأمة:

يؤكد الإمام جابر على مبادئ سياسية شرعية أو عقدية يراها جامعة للأمة، وأنها حبل لنظامها وجمع كلمتها؛ وهناك مبادئ عامة يشترك الإمام جابر مع غيره من الأمة في الدعوة إليها، ولها أثرها الكبير في جمع كلمة الأمة ووحدتها، كالمساواة والشورى والعدل والاستقامة وغيرها مما نادى إليها هو وغيرهو وجاءت به شريعة الإسلام الغراء لإصلاح الأمة وجمع كلمتها، ولسنا في مقام عرض كل مبدأ كان يؤمن به الإمام جابر مما كان له

أثره في هذا الجانب، ولكننا نركز على بعض المبادئ التي نرى أنه تميز فيها من غيره ومعاصريه، ومنها ما يأتي:

أ. الخلافة:

تبتعد رؤية الإمام جابر السياسية عن التحزبات والتكتلات، وتصب في إصلاح وضع الأمة فقط، وهو يرى أن مسألة الخلافة لا بد من أن تتحقق فيها الكفاءة الدينية والخُلقية والعملية والعقلية لكل من يتقدم إليها، إذ يرى الإمام جابر أن منصب الخلافة أهم منصب في الدولة والأمة المسلمة، وأنها نظام سياسي ضروري يمثل مصدر قوة للأمة، ويسمح بتنفيذ شرع الله سلطة تنفيذية، وبناء على مقامها وخطرها العظيم قامت شرعيتها على الشورى والبيعة، فلا يمكن أن تبنى على نظام وراثي، ولا تعتمد على جنس أو قبيلة أو أسرة، وإنما المشروط فيها تحقق وجوه الكفاءة الدينية والخُلقية والعلمية والعقلية، وفي حال تساوي الكفاءات يمكن عندئذ عدُّ الهاشمية أو القرشية أو العروبة أو غيرها – مما قد يميز مجتمعًا بعينه – سببًا للمفاضلة.

يقول الشيخ عليّ يحيى معمر: "كانت قضية الخلافة من القضايا الهامَّة التي يقدرها الإسلام قدرها، وكانت شاغلة لأهل العلم، وكان جابر بن زيد ممن مَرَّت عليه، ودَرَسَها دَرْسًا مُسْتَفِيضًا عميقًا، وانتهى فيها إلى رأي ثابت صحيح مبني على روح العدالة في الإسلام، ومستمد من القرآن الكريم، ومستند على سيرة السلف الصالح من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان يرى أنَّ الخلافة أهم مرافق الدولة، وأعظم مظهر للأمة، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله، وتطبيق أحكام الكتاب والسنة، الذين هما المصدر الصحيح لأحكام الله عز وجل، وهي بهذا المظهر، وعلى هذا النحو لا يمكن أن تخضع لنظام ورأي أبدًا، ولا أن ترتبط بجنس، أو قبيلة، أو أسرة ما، أو لون أيضًا".[1]

[1] علي يحيى معمر، **الإباضية في موكب التاريخ: نشأة المذهب الإباضي**، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 1964)، ص63.

ويعقب الشيخ سالم بن حمود السيابي مؤيدًا كلام الشيخ عليّ يحيى معمر بقوله: "لأنَّ الخلافة المقصود منها بالذات، وضع الحقِّ في مواضعه، وإعادة أوامر الشريعة حيث أمر بها الشرع، وإنما يشترط فيها الكفاءة المطلقة؛ لأنَّ الله عز وجل أشار إلى المقصود فيها بالذات بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)، والمطلوب هذان الشيئان، بل هما دعامتاها، وهما الكرم بجميع معانيه، والتقوى وهي الأصل الذي لا تصح بدونه خلافة ما أبدًا، فإذا لم يكن هذان الأصلان ثابتين فيها فعليها العَفَاء، لم تغن القُرَيْشِية وحدها، وربما أغنى عنها التقوى، ولا يخفى على كل ذي عقل أن التقوى رُوحُ الإيمان، فإذا لم تكن تقوى فلا إيمان إجماعًا، وإذا حصلت الكفاءة المطلقة دينًا وخلقًا وعملًا وعقلًا، فقد حصلت الخصال المطلوبة فيها، المشترطة لِصَحَّتِهَا، وقامت حجتها على المسؤولين عنها، الذين تلزمهم عند حصولها، فإذا كانت في فريق من الناس فقد حصلت؛ لأن تحمل عبء الأمة، وتقوم بما يجب في الإسلام القيام به، وما القُرَيْشِية أو الهَاشِمِّية أو العَرَبِية إلا من وسائل الترجيح، وهي كمالية فقط عندنا، فإنَّ المفاضلة أو الأولوية أشياء اختيارية عند حصول الكمال، أما ما سوى ذلك فلا حساب له في نظر الشرع، الذي جاء لدرء المفاسد، وجلب المصالح في الأمة".[1]

ومهما يكن لم تعد مسألة القرشية التي كانت من جملة الإشكالات السياسية حاضرة اليوم في المناهج السياسية لدى القائلين بها سابقًا، ولم تكن ضرورية بالقدر الذي يعطل مصالح الأمة؛ لأن القائلين بالقرشية لم يترددوا في اعتماد الخلافة العثمانية؛ لأن مصلحة الأمة هي التي ترجح دائمًا.

ب. تكريم العلم والعلماء:

كان جابر يؤمن بتكريم العلم والعالم، وإن خالفه ذلك العالم أو صد عنه أو تعصب في معاملته، فقد كان منهجه يتجاوز هذه المواقف، فيعطي العالم حقه، ويلتزم معه الأمانة

---

[1] سالم بن حمود السيابي، **العُرى الوثيقة: شرح كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة**، (نسخة رقميَّة مرقونة)، ص58-59.

العلمية، ويمكننا عدُّ ذلك جانبًا تميز به جابر من معاصريه من أئمة التابعين، وأن نستشهد على ذلك باحترامه عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما على الرغم من اختلافه معه في الفكر السياسي، ولكنه كعادته يكرم العلم والمعرفة، قال عمرو: "أعطاني جابر بن زيد صحيفة فيها مسائل، فقال: سل عنها عكرمة، فجعلت كأني أتباطأ، فانتزعها من يدي، فقال: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس".[1]

وهذا الموقف من جابر بن زيد تجاه عكرمة أو أي راوٍ آخر كان ينقل عنه، يقدم دليلاً على اتساعه وقبوله الجميع من دون تمييز، ولو اختلف معهم، ولم يكن هذا صنيع كل العلماء المعاصرين، وللأمانة العلمية نورد مثلاً؛ إذ كان بعض علماء التابعين يتجنبون عكرمة؛ بل الأعجب أنهم يروون عنه ولا يسمونه، وقد قيدت كتب الجرح والتعديل طرفًا من ذلك، ومن هؤلاء أئمة لهم وزنهم في العلم والفضل، من مثل محمد بن سيرين وغيره من علماء ذلك العصر، قال خالد الحذّاء: "كل ما قال محمد بن سيرين: ثبت عن ابن عباس، فإنما أخذه عن عكرمة، وكان لا يسميه؛ لأنه لم يكن يرضاه"، والغريب أن بعض هؤلاء كانوا من المنادين بالبحث والتثبت في الإسناد من التابعين، ونرى مع البحث والتقصي أنهم أرسلوا ولم يلتزموا الإسناد، وكأن الإرسال أو إسقاط أحد من السند منهج متبع لديهم، على أننا نعجب في هذا المقام من إمام جليل القدر، كبير المنزلة، عظيم الخطر، من مثل محمد بن سيرين حين يروي عن عكرمة مولى ابن عباس الحبر، ولا يذكره وهو يأخذ عنه مرويات رواها عن البحر، ويظهر أن الخلاف بين هذين العالمين سبب ذلك الإعراض عن الذكر.[2]

---

[1] البخاري، **التاريخ الكبير**، ج7، ص49؛ ابن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ/1967م)، ج2، ص29؛ العقيلي، محمد بن عمر، **الضعفاء**، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، (بيروت: دار المكتبة العلمية، ط1، 1404هـ)، ج3، ص375.

[2] لمزيد عن هذه القضية بخاصة يُنظر: أحمد بن حنبل، **العلل ومعرفة الرجال**، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، (الرياض: المكتب الإسلامي، ط1، 1408هـ/1988م)، ج1، ص487، 562؛ الدارقطني، **العلل الواردة في**

ج. المراسلات مع عدد من عمال دولة الأمويين، وتوظيفها في صالح الدعوة:

تميز الإمام جابر بسعة الأفق الذي يعين في وحدة الأمة، بل النفاذ إلى النظام الإداري والسياسي الذي يدير الأمة في عصره وإن خالف ذلك النظام وعارضه، فعلى الرغم من موقفه الواضح في معارضة نظام بني أمية وطغاة ولاتهم، كان مع بعض من يتوخى فيه الخير أو اللين، ويهمه أمر المسلمين، فقد سعى الإمام جابر مع هؤلاء، وحاول في مسعاه هذا عبر التواصل مع الخاصة وبعض القادة، أن يصلح الأمة بالقدر الذي يحققه هذا التواصل وهذه المناصحة، محققًا فيه كل حذر على دينه، فقد كان على صلات طيبة مع يزيد بن مسلم، وكان على صلة ببني المهلب، وهم من قومه وقبيلته، ومن الأسر القوية ذات المكانة والنفوذ في العهد الأموي، وقد أقام جابر معها علاقات طيبة، والأهم من رباط القبيلة والقربى أن جابرًا المعلم والمفتي المقرب من تلك الأسرة، اعتاد أن يزورها ويلقنها تعاليم الإسلام، ويأمرها بالعمل الصالح".[1]

وتعدُّ المراسلات من وسائل الدعوة التي أحسن الإمام جابر توظيفها في صلته مع هذه الشريحة من المجتمع، وقد حفظت المصادر نماذج لهذه الرسائل، فمن رسائله إلى آل المهلب بقيت رسالتان إلى عبد الملك بن المهلب، ورسالة إلى خيرة بنت ضمرة القشيرية زوج المهلب، وهناك رسائل أخرى إلى بعض من كانوا في وظائف كبيرة في دولة بني أمية، كانوا يرسلون مستفتين الإمام مستنصحين، كرسالته إلى النعمان بن سلمة الذي جوابًا عن رسالته التي سأله فيها نصيحته ليتمكن من جمع المبالغ المالية اللازمة ضريبة للخراج والحماية من غير أن يجور على الرعية، أو أن يتصرف بما يخالف التعاليم الإسلامية، وفي

الأحاديث النبوية، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، (الرياض: دار طيبة، ط1، 1405هـ/1985م)، ج7، ص153؛ العلائي ابن كيكلدي، **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت: عالم الكتب، ط2، 1407هـ/1986م)، ج1، ص264؛ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، ج1، ص427.

[1] النامي، **دراسات عن الإباضية**، ص87، ويُنظر: أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج3، ص89.

هذه الرسالة معلومات طريفة عن الوسائل المتبعة لجمع الضرائب، ودلالة على أنه من أصل ثلاث مئة درهم، لا يصل إلى بيت المال إلا أقل من مئة، ويأخذ المتبقي الدهاقين (أسياد المزارعين) وجامعو الضرائب، وهناك رسالة موجهة إى يزيد بن يسار، وقد أرسل الأخير رسالة إلى الإمام جابر يبلغه فيها أنه عُين مسؤولًا عن بعض المراكز في عمان، ويطلب إليه رأيه في بعض المسائل.[1]

ويظهر أن هذه المراسلات قيدت لنا ما يكشف عن دور آخر للإمام مع هذه الشريحة المتوزعة في أماكن مختلفة؛ إذ "كان جابر يطلب منهم أن يبعثوا إليه بتقارير حول الأوضاع في بلدانهم، وأن يذكروا له كل شيء يحدث فيها"،[2] فهذه الرسائل وضروب التواصل تكشف جانبًا من دور الإمام جابر الدعوي وسعيه إلى الإصلاح الشامل لكل مكونات الأمة ومحاولته فهم الواقع ومجريات الأحداث.

ولا يفوتنا هنا التنبيه إلى أن الإمام جاير إذ كان يتصل بهؤلاء، كان يتلقى الضربات الموجعة من ولاة بني أمية، فيصبر لصالح الدعوة، ويتواصل مع أناس في داخل تركيب نظامهم بغية الإصلاح وخدمة الدعوة، لا تزلفًا وتملقًا كما فعل غيره آنذاك، ممن تأول ذلك التقرب بأنه لخدمة الدين، فشتان ما بين المسلكين، إذ الإمام جابر كان لا يجامل ولا يجاري، وفي مقالة الحق لا يداهن، رحمه الله ورضي عنه.

وكان في دعوته العامة والخاصة يسعى إلى الجمع بين الإطار العلني والعمل السري في الدعوة، وفي كل ذلك كان ساعيًا إلى حماية الدعوة الناشئة، مجتهدًا في سبيل ذلك، مستعملًا دعوة العلن ما لم تضر هذه الدعوة، ومحسنًا توظيف حالة الكتمان بما يحمي الدعوة ويحقق أهدافها، فكان في خلال اتصاله بمن يتصل بهم ممن أسلفنا على أعلى درجة الحذر والتيقظ، بل ربما طلب إليهم أن يتلفوا الرسائل التي يرسلها إليهم، وتذكر

---

[1] النامي، **دراسات عن الإباضية**، ص87.

[2] المرجع السابق، ص88.

بعض المصادر طلب إتلاف خمس رسائل من رسائله منبهًا إلى سبب ذلك، كقوله في رسالته إلى الحارث بن عمرو: "اعلم – أصلحك الله – أنك في بلاد لا أحب أن تذكر فيها اسمي، ولذلك لا تنقل أي شيء مما كتبته لك"،[1] وفي رسالته إلى عبد الملك بن المهلب، كتب: "اكتب لي ما تحتاجه وأرسله لي سرًّا مع من تثق به؛ إنك تعرف وضعنا، والذي نخشاه هو أولئك الذين يبحثون عن أسباب لإيذائنا، ولذلك لا تخاطر بما قد تسبب لنا به زوالنا، أصلح الله أمورك"، وفي رسالة أخرى إلى عبد الملك بن المهلب يشكر الله على حمايته عبد الملك، ويدعو الله الخالق أن ينقذه ويحميه، فيقول: "إلى أن يظهر لكم ولنا في شؤونكم وشؤوننا ما يجعلنا سعداء، ويسحق أعداءنا"، ويعلل حذره في رسالة بسبب طغيان الأمراء، فيقول منبهًا إلى ملازمة الحذر والخفاء: "أنتم تعلمون شؤون الأمراء؛ إننا نخشاهم؛ وهم يبحثون عن أعذار ضدنا".[2]

ولا تنفي هذه العبارة ما كان يتميز به الإمام جابر من الناحية الاجتماعية والعلمية في المحيط الذي يعيش فيه، وبين أقرانه من التابعين، واعتراف الناس بفضله ومكانته كما قررنا سابقًا، وإنما تحكي هذه العبارات خشيته من انكشاف مشروعه السياسي الذي كان يخطط له، ويسعى إلى ترجمته إلى واقع عملي عن طريق تلميذه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وبخاصة بعد أن تأكد لديه أن السلطة القائمة باتت على علم بهذه الدعوة، وأخذت من الناحية الإجرائية في ملاحقة أتباعها وتتبع عناصرها، ولكن الإمام جابر من خلال تلك المراسلات كان حذرًا جدًا، ودقيقًا في إخفاء القرائن التي تدل عليه.

خاتمة

مع خاتمة هذا البحث يؤمل الباحثان أن يكونا قد قدما صورة جيدة لموضوع البحث، ويؤكدان على عدد من الحقائق والنتائج:

---

1 المرجع السابق، ص87.

2 المرجع السابق، ص89.

1. كان الامام جابر يسعى من خلال مشروعه الإصلاحي إلى وحدة الأمة وإصلاحها، ويؤكد ذلك أنه كان تلميذ كل العلماء في عصره في الحدود الجغرافية التي تحرك فيها، وأستاذًا لتشكيلة متنوعة من التلاميذ، وأن علمه وحياته كانا مظلة للإباضية وسائر الأمة.
2. وظف الإمام جابر الدعوة في خدمة ما يصلح الأمة ويقرب بين مكوناتها ويعيدها إلى ما كانت عليه في العهد الراشدي.
3. كان الإمام جابر يحمل مبادئ ورؤى يراها جامعة للأمة، وفي مقدمة ذلك أنه يرى أن منصب الخلافة أهم منصب في الدولة والأمة المسلم، وأنها في النظام السياسي أهم مرافق الدولة ونظامها، وأنها تمثل أعظم مظهر لقوة الأمة وأقوى سلطة تشرف الأمة من خلاله على تنفيذ أوامر وأحكام الله في الأرض.
4. مثَّل السعي إلى إصلاح الأمة وبعثها ووحدتها، غاية الإمام جابر، فوظَّف لذلك تنوعًا في طرق الدعوة ومؤثراتها لديه، ووظَّف اتصاله عبر المراسلات مع عدد من عمال الدولة الأموية، ولذلك وجدنا شهادات الشيوخ والأقران بأهمية جابر.

References:

المراجع:

Abu Al-Faraj Al-Isbahani, *Al-Aghani*, Ed.: Samir Jabir, (Beirut: Dar Al-Fikr, 2nd edition, n.d.)

Al-Ala‘i, Abu Sa'id bin Khalil bin Kaykaldi (761/1360), *Jami' al-Tahsil fi Ahkam al-Marasil*, Ed.: Hamdi Abdul Majid Al-Salafi, (Beirut: Alam al-Kutub, 2nd edition, 1407 AH / 1986 CE).

Al-Asbahani, Abu Nuaim, Ahmed bin Abdullah (430/1039), *Hilyat al-Awliya*’, (Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 4th edition, 1405 AH).

Al-Asqalani, Ibn Hajar Ahmed bin Ali (852/1449), *Hady al-Sari: Muqaddimah Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari*, Ed.: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Mahb al-Din al-Khatib, (Beirut: Dar al-Ma'rifah, 1379 AH).

Al-Awtubi, Salamah bin Muslim Al-Sahari, *Al-Diya*, Oman Printing Press and its Limited Library, Ministry of National Heritage and Culture in Sultanate of Oman, (Muscat: 1st edition, 1411 AH / 1991 CE).

Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Isma'il Al-Ju’fi, *Al-Tarikh Al-Kabir*, Ed.: Al-Sayyid Hashim Al-Nadwi, (Beirut: Dar Al-Fikr, 2012).

Al-Darajini, Abu Al-Abbas Ahmad bin Saeed (670/1272), *Tabaqat Al-Mashaikh Bil-Maghrib*, Ed.: Ibrahim Talai, Matba'at Al-Ba'th: Constantine, Algeria, n.d.

Al-Daraqutni, Abu Al-Hasan Ali bin Ahmad (385/996), *Al-Ilal Al-Warida Fi Al-Ahadith Al-Nabawiyyah*, Ed.: Mahfouz Al-Rahman Zain Al-Abidin Al-Salafi, (Riyadh: Dar Taybah, 1st edition, 1405 AH / 1985 CE).

Al-Dhahabi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad (748/1348), *Tadhkirat Al-Huffaz*, Ed.: Abdul Rahman bin Yahya Al-Mu'allimi, (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st edition, 1374 AH).

Al-Jaytali, Abu Tahir Isma'il bin Musa (750/1350). *Qanatir Al-Khayrat*, (Cairo: Dar Al-Nahda for Publishing, 2nd edition, 1998).

Al-Khalili, Sheikh Ahmed bin Hamad. Al-Wahdah Al-Islamiyyah Min Khilal Sira Al-Alamah Salem bin Dhakwan Al-Hilali (Marqon).

Al-Kharusi, Said bin Khalaf, *Min Jawabat Al-Imam Ibn Zaid*, (Muscat: Ministry of Heritage, 1992).

Al-Laythi, Khalifa bin Khayyat, *Tarikh Khalifa bin Khayyat*, Ed.: Dr. Akram Dhiya Al-Omari, (Beirut: Dar Al-Qalam, and Damsacus: Ma'had Al-Risalah, 2nd edition, 1397).

Al-Mizzi, Jamal al-Din Abu al-Hajjaj Yusuf (742/1342), *Tahdhib al-Kamal fi Asma al-Rijal*, Ed.: Bashar Awad Maruf, (Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 3rd edition, no date)

Al-Nami, Amr bin Khalifa (Contemporary), *Dirasat 'An al-Ibadiyya*, Translation: Mikhail Khoury, Maher Jarar, Review and Correction: Muhammad Saleh Nasser and Mustafa Saleh Baju, (Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, Lebanon, 2001 CE).

Al-Salimi, Nur al-Din Abu Muhammad Abdullah bin Hamid (1332/1914), *Kashf al-Haqiqa Liman Jahl al-Tariqa*, (Al-Seeb, Sultanate of Oman: Dar Al-Dhamari Library, 2nd edition, 1423 AH / 2003 CE).

Al-Shamakhi, Ahmed bin Saeed, *Al-Siyar*, Ed.: Ahmed bin Saud Al-Siyabi (Ministry of National Heritage and Culture - Sultanate of Oman, 1st edition: 1407 AH / 1987).

Al-Shamakhi, *Al-Siyar*, (Cairo: Al-Matba'ah Al-Baroniyya, 1301 AH).

Al-Shaybani, Abu Abdullah Ahmad bin Hanbal (241/856), *Al-ʻIlal wa Ma'rifat al-Rijal*, Ed.: Wasiullah bin Muhammad Abbas, (Riyadh: The Islamic Office, 1st edition, 1408 AH / 1988 CE).

Al-Siyabi, Salem bin Hamoud, *Al-Urwah Al-Wuthqa Sharh Kashf al-Haqiqa Liman Jahl al-Tariqa*, Digital version, Marqon.

Al-Uqaili, Abu Ja'far Muhammad bin Umar bin Musa (322/934), *Kitab al-Du'afa*, Ed.: Abdul Ma'ati Amin Qal'aji, (Beirut: Dar al-Maktabah al-Ilmiyya, 1st edition, 1404 AH).

Ibn Abd al-Barr, Abu Umar Yusuf bin Abdullah Al-Qurtubi (463/1071), *Al-Tamhid li Ma fi al-Muwatta Min al-Ma'ani wal-Asanid*, Ed.: Mustafa Ahmed Al-Alawi, Muhammad Abdul Kabir Al-Bakri, Ministry of Endowments and Islamic Affairs,